أسلوب ابن البناء المراكشي في الكتابة ومنهجه في الدراسة المصطلحية.

Ibn al-BanaaEl-MarrakchiStyle of Writing And his methodology in the terminological study In his style.

د.محمد جيلالي بوزينة

كلية الآداب والفنون جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر

البريد الألكتروني: Bouzina56@gmail.com

تاريخ الإرسال:2021/03/09	تاريخ القبول:11 /2021/03	تاريخ النشر:2021/03/30

الملخّص: كان ابن البناء يجمع في أسلوبة بين سهولة اللفظ وقوّة التركيب ورونق التعبير، والتركيز على المعنى الذي يهدف إلى تبليغه، كما يتميّز أسلوبه بالإيجاز والاختصار، ويمتاز أسلوبه بتناسق الأفكار وتساوقها ويدلّ أسلوبه في الشرح على معرفته الواسعة وتمكّنه من اللغة العربية وأسرارها .

وبخصوص دراسته للمصطلح فهو يقلّبه من الناحية اللغوية ومن الأوجه المختلفة والمعاني التي تتعاوره، ولم يتقيّد في دراسته للمصطلح بالمدلولات الجارية عند البلاغيين المتقدّمين بل جعلها مندمجة في أصول ذات خصائص أسلوبية مشتركة ومقاصد متقاربة ، وربط بعضها باستعمالاتها المتداولة وأضفى على الآخر مدلولات جديدة.

الكلمات المفتاحية: سهولة اللفظ– قوّة التركيب–الإيجاز– الناحية اللغوية– مقاصد متقاربة– مدلولات جديدة.

Abstract: Ibn al-Banaa used to combine between the ease of choosing terms, the ability of the diction, the elegance of expression, and his focus on the target meaning to be conveyed. His style is characterized by brevity and exactness. It is also distinguished by the coherence and coherence of ideas. His style depicts his deep knowledge and mastering of Arabic Language and its secrets .With regard to his study of the term, he deals with this latter from different angles mainly the linguistic and the semantic side trying to find out the different meanings that it conveys. His study of the term had not been restricted to

those definitions underlined by the previous rhetoricians, but rather he integrated new visions mingling both of them achieving what represents the common stylistic characteristics of the term. He also, tried to link some of thesemantic daily usages of the terms, and coining them with new connotative meanings.

Key-words: Ease of the term–syntactic power - brevity - linguistic aspect - close intentions - new meanings.

1-مقدمة:

ويمتاز أسلوب ابن البناء بتناسق الأفكار وتساوقها في تعاقب منطقي يؤدّي إلى وحدة السياق وسلامة المنهج.كما يدلّ أسلوبه في الشرح على معرفته الواسعة وتمكّنه من اللغة العربية وأسرارها، فهو يقلّب الموضوع أو المصطلح الذي يتناوله من الناحية اللغوية، ويبيّن الأوجه المختلفة والمعاني التي تتعاوره.

ولابن البناء اهتمام جاد بالمصطلح وتأصيله إذ لا يكاد يسبر غور أيّ بحث من أبحاثه حتى يستوفي الحديث عن المصطلحات المتداولة في مجاله تأصيلا وتوضيحا وتقسيما وتفريعا ، بدقّة نادرة ، ودراية واسعة، ويتناوله غالبا حسب المستويات المعجمية ، والصوتية والصرفية ، والإعرابية والبيانية والدلالية وربما المنطقية والفلسفية أيضا، فتتفجّر من ثنا يا أبحاثه العلمية الفسيحة ، والمتأنّرة إلى حدّ كبير بالمنهج الرياضي والعقلي سيول من المعارف المتنوّعة والعلوم المختلفة ، فصار المصطلح النقدي واللغوي عنده مجالا نابضا ، تتفاعل فيه ألوان المعارف المختلفة.

2–البحث:

من خلال قراءة بعض آثار ابن البناء الزاخرة في مختلف العلوم يتّضح أنّ الرجل كان يكتب بأسلوب يجمع بين سهولة اللفظ وقوّة التركيب ورونق التعبير، والتركيز على المعنى الذي يهدف إلى تبليغه حتى تبرز الفكرة واضحة جليّة من غير اضطراب أو حشو أو تكرار أو تكلّف، وتتّطرد هذه المزايا في كتاباته مهما اختلفت موضوعاتها؛ إلاّ أنّ هناك ميزة أخرى التزم بها ابن البناء وصرّح بها، ويستطيع قارئ كتبه أن يلمسها بوضوح وهي ميزة الإيجاز والاختصار التي التزم بها وصرّح بها في قوله:

قصدت إلى الوجازةِ في كلامي لعلمِي بالصوابِ في الاختصارِ

ولم أحذر فهوما دون فهمي ولكن خفت إزراء الكبار

فشأن فحولة العلماء شأني وشأن البسط تعليم الصغار[1]

والإيجاز سمة ملازمة لأسلوب ابن البنّاء، وممّا تظهر فيه السمة جليّة، مع خاصيّتي الوضوح والتركيز ما جاء في رسالته القيّمة الفرق بين الخوارق الثلاثة:(المعجزة والكرامة والسحر)حيث يقول:"إنّ المعجزةَ من الوجودِ الممتنعِ على البشرِ،والكرامةُ من بابِ الوجودِ المفتوحِ للبشرِ،ولهذا يمكن التحدّي، بخلاف الأولى، والسحرُ من بابِ الخواصِ الأرضيةِ المرتبطةِ بالقوّةِ، وصاحبُ السحرِ لا بدَّ له من آلةٍ ظاهرةٍ أو خفيّةٍ، وليسَ لصاحبِ المعجزةِ أو الكرامةِ آلةٌ إلاّ الدعاءُ إلى اللهِ تعالى"[2]؛ فقد فرّق بوضوح بين المعجزة والكرامة التي هي واقعة فعلا ولكنها تحدٍّ، فلا يستطيعها البشر، والكرامة التي هي في متناولهم لأنّه لا تحدّي فيها، والسحر الذي يعتمد على أدوات خاصّة وإلاّ ما كان سحرا.

وفي رسالته الزاخرة بالمعارف "مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة"، تظهر كذلك بعض الخصائص الميّزة لأسلوب ابن البناء، ففي المرسم الرابع منها يريد أن يثبت أنّ حال الإنسان في الحياة الدنيا زائل أي باطل، لأنّه يؤول إلى عدم، ويبيّن أنّ هذه هي حقيقة الإنسان التي لا يمكن أن ينسلخ عنها، فوجب أن يكون له تعلّق بالحق وارتباط به، لأنّ الحقّ دائم لا يصحُّ عليه العدم، فيستعمل المؤلّف للتعبير عن ذلك أقرب السبل الموصلة إلى الفكرة، ويستعمل طريق الجدل والاستنتاج، فيقول:" **مرسم رابع: لنا في الاعتبار حالان:الحالُ التي نحن الآن عليها، والأخرى متوهّمةٌ وهي زوالُ هذه الحال عنّا، فنحن يصحّ علينا توهّمُ العدم، والحقُّ لا يصحُّ عليه توهّمُ العدم فيلزمُ أن لسنا بحقٍّ، فنحن باطلٌ بلا شك، فلا يصحّ عليه توهّمُ العدم فيلزم أن لسنا بحق، فنحن باطل بلا شك، فإذا كنّا باطلا فلا يمكننا الانسلاخ عن الباطل أبدا لأنّه حقيقتنا، ويمكننا التعلّقُ بالحقِّ لأنّا به، فالباطلِ تعلّقٌ بالحق، فالخلقُ كلّهم متعلّقون بالحقّ**"[3].

ويمتاز أسلوب ابن البناء بتناسق الأفكار وتساوقها في تعاقب منطقي يؤدّي إلى وحدة السياق وسلامة المنهج.

كما يدلّ أسلوبه في الشرح على معرفته الواسعة وتمكّنه من اللغة العربية وأسرارها، فهو يقلّب الموضوع أو المصطلح الذي يتناوله من الناحية اللغوية، ويبيّن الأوجه المختلفة والمعاني التي تتعاوره.

3-منهجه في دراسة المصطلح:

لا شكّ في اختلاف الناس في التزام مناهج معيّنة في أبحاثهم حيث أصبح لكل منهجه في التأليف خصوصا عند النقاد القدماء ومنهم ابن البناء الذي اتجه وجهة متمايزة في كتابه "الروض المريع بإدراجه صور البديع الجزئية وألقابه تحت كلّيات عامّة، وهو بذلك لم يتقيّد بالمدلولات الجارية عند البلاغيين المتقدّمين، بل جعلها مندمجة في أصول ذات خصائص أسلوبية مشتركة ومقاصد متقاربة، وربط بعضها باستعمالاتها المتداولة وأضفى على الآخر مدلولات جديدة.

ولابن البناء اهتمام جاد بالمصطلح وتأصيله إذ لا يكاد يسبر غور أيّ بحث من أبحاثه حتى يستوفي الحديث عن المصطلحات المتداولة في مجاله تأصيلا وتوضيحا وتقسيما وتفريعا ، بدقّة نادرة ، ودراية واسعة، ويتناوله غالبا حسب المستويات المعجمية ، والصوتية والصرفية ، والإعرابية والبيانية والدلالية وربما المنطقية والفلسفية أيضا ، فتتفجّر من ثنا يا أبحاثه العلمية الفسيحة ، والمتأنّرة إلى حدّ كبير بالمنهج الرياضي والعقلي سيول من المعارف المتنوّعة والعلوم المختلفة ، فصار المصطلح النقدي واللغوي عنده مجالا نابضا ، تتفاعل فيه ألوان المعارف المختلفة .

ففي مجال تأصيله للمصطلح يرى أنّ لكلّ (لفظ-مصطلح) ثلاث جهات ، أولنسمّها مستويات مختلفة واجب مراعاتها حال الخوض في أيّ علم أو البحث في أيّ معرفة منها:

-جهة الدلالة على المعنى ، ويعني بذلك العلاقة الكمية بين الألفاظ والمعاني.

-جهة مواجهة المعنى نحو الغرض المقصود في الخطاب ، أي العلاقة النسبية القائمة بين شكل الخطاب وبين فحواه ، ويعني بذلك المستوى الدلالي للمصطلح .

وهي في نظر ابن البناء مباحث مستقلة كل منها جدير بالبحث والبناء ولذلك تناول تلك الجهات في مؤلفاته المتنوعة كلّ جهة على حدة ، حيث بسط القول فيها ، كما ب]ذن ضرورة تحديد المصطلح قبل الخوض فيه ن فيضع منهج النظر ويحدّد مسطرة البحث المصطلحين ويدعو إلى التمكّن من مدلولات الألفاظ في مختلف أوضاعها واستعمالاتها حتى تحصل في العقل ، وتدرك في مختلف مستوياتها ، وتفاوت دلالاتها.

وعلى هذا المنهج سار في دراسة مصطلح"الواجب" الوارد في كتابه القيّم "مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة"، فنفى أن يوصف شيء من افعال الله عز وجل بالوجوب فقال:"إنّ جملة أفعاله تعالى جائزة ، ولا يوصف شيء منها بالوجوب "[4]، وبعد توضيح ذلك وتفصيله يقول :"ولقد خاض الخائضون فيه وطوّلوا القول في الفعل ك يحسن ويقبح وهل يوجب؟ وإنّما كثر الخبط لأنّهم لم يحصلوا معنى هذه الألفاظ واختلاف الاصطلاحات فيها ، وكيف يتخاطب خصمان في أنّ الفعل واجب أم لا؟ وهما لم يفهما بعد معنى الواجب فهما محصّلا متفقا عليه بينهما .

نستنتج من هذا أنّ بحثه المصطلحي يتميّز بالدقة المتناهية وذلك في مختلف كتاباته .

4–مصطلح النقد عند ابن البناء :

تناول ابن البناء مصطلح النقد من الناحية الدلالية الفكرية وليس من الناحية المعجمية كما فعل كثير من الباحثين في مادة النقد، وهذا نتيجة توجّهه الفكري العلمي العام ، وهو الذي اشتغل بالفكر الرياضي تدريسا وتطبيقا ومنهجا ، لإذا تناول المصطلح النقدي ودرسه ، جاءت دراسته متّجهة نحو الدقة العلمية ومنهج الإثبات والاستدلال والتقسيم والتفريع وسيرا على هذا المنهج يتحدّث عن نوعين من النقد :– نقد يتناول العقل والفكر ومكوّناتهما ومناهجهما ، وتوجد نظريات هذا النوع من النقد في كتبه في التصوّف والتفسير، التي يتناول فيها مباحث منطقية تتّصل بالصور الذهنية [5].

ونقد يتناول وسائل توصيل المعرفة أي الخطابات والرسائل والنصوص والصور التعبيرية التي تبلّغ بها تلك المعارف من أذهان المتكلّمين إلى أفهام المخاطبين.

فالنوع الأوّل من النقد والذي يقصد به نقد المعرفة والعقل ، ويحلّق به في أجواء المعرفة كلّها محلّلا منهج المعرفة تحليلا دقيقا .

وأما النوع الثاني من النقد عند ابن البناء وهو الذي يعنينا فهو نقد وسائل توصيل المعرفة ، وهو الذي يعني فيما يعنيه " النقد الأدبي" ، ففي أكثر مؤلفاته الباقية نظرات دقيقة وممارسات عملية لتطبيقاته ، ومجوعة آراء وأبحاث في البيان واللغة بصفة عامة ، وعلى مستويات مختلفة .

وينطلق ابن البناء في تصوّراته النقدية المختلفة من أنّ الدارس للنصوص الأدبية المشتغل بفهمها ونقدها ن عليه أن يكون مزوّدا بالوسائل المعرفية الضرورية لتوجيهه إلى الإدراك السليم ، والحكم الصحيح ، ولإبعاده عن الزلل في التفكير ، والتقصير في الإدراك والخطأ في التذوّق والتقويم.

ومن أهمّ هذه الوسائل عند – وقد كان الأقدمون يسمّونها علوم الآلة– معرفة اللسان العربي: معجما ونحوا وصرفا وإعرابا وبيانا وبلاغة ، ومعرفة الأدب وفنونه وأساليبه ونظرياته النقديه ، ويتمّم ذلك ويزيّنه معرفة علم المعقولات وعلوم الشرع من فقه وأصول وغيرهم، وهو يتّخذ من النص القرآني الكريم نموذجا ، لكنّ كلامه ينطبق على النص الأدبي عامّة ، لأنّه يربط دوما وبطريقة عفوية بين فهم القرآن وتذوّقه وبين فهم أيّ نص آخر وتذوّقه ، وفي مقدّمة رسالته ف"تفسير الاسم من بسم الله الرحمن الرحيم" إشارة إلى ذلك حيث يقول: " فلا بد من معرفة اللسان العربي في فهم القرآن العربي، فيعرف الطالب الكلمة وشرح لغتها وإعرابها ، ثم ينتقل إلى معرفة المعاني ظاهرا وباطنا ، فيوفي لكلّ منها حقّه ، ولا يخلّ بشيء من ذلك وإلاّ كان مخطئا أو مقصّرا ، وقد وضع للمقصّرين في اللسان قوانين النحويين لما أعوجّت الألسنة ، وللناقصي التعقّل علم المعقولات ، وللناقصي الإبانة والبلاغة علم الأدب ، وللناقصي الفهم في أحكام علم الشرع علم الأصول[6]

ويندرج كتابه "الروض المريع في صنعة البديع" ضمن المدرسة البلاغية الفلسفية بالغرب الإسلامي وما أن يذكر الكتاب إلاّ ويذكر معه كتاب "المنهاج" للقرطاجني وكتاب "المنزع البديع" للسجلماسي، نظرا لالتزامها منهجا متشابها، وامتيازها في الفسلفة والمنطق واهتمام أصحابها بالتفريعات والتقسيمات للمصطلح النقدي والبلاغي سواء من أجل فهم القرآن والسنة أو وضع قوانين للشعر باستخدام معايير المنطق لضبط هذه القوانين وتنظيمها حيث

يقول ابن البناء:"وقد تلتف أقسام البديع بعضها ببعض، فتتركّب وتتداخل...ولأجل ذلك يختلف أهل هذه الصناعة في الأمثلة الجزئية، فيضعها بعضهم في قسم ويضعها آخرون في قسم آخر فكما يختلفون في أسامي الأقسام وفي عددها وفي تفاصيلها...ولأجل ما قلناه هنا...ضبطناه على النحو الذي فيه من الضبط"[7].

5-مصادره في رسم المصطلح:

5-1 القرآن الكريم: فقد اعتبر ابن البناء القرآن الكريم المصدر الأساس في وضع المصطلح وصرّح بذلك عند وقوفه على مصطلح "التوضيح" الذي أدرجه تحت التفصيل إضافة إلى التشكيك والتجاهل والاتساع والتضمين حيث يقول في سبب وضعه المصطلح:"**ومن التفصيلِ ما يقالُ له التوضيحُ، وهو إحضارُ المعنى للنفسِ بسرعةِ إدراكٍ ولا يكونُ إلاّ بالأفصحِ والأجلى من الألفاظِ وأحسنِها إبانةً ومسموعاً، وقد سمّاه الرماني حسنَ البيانِ، وهذا النوعُ هو عمودُ البلاغةِ ومادّةُ أساليبِ البديعِ**"[8]، وبهذا فإنّ ابن البناء يسمّي إيصال المعنى إلى النفس بسرعة إدراك وحسن فهم "**توضيحا**"، وما يمكن ملاحظته أن هذه الخصائص التي أطلقها ابن البناء على التوضيح موجودة في القرآن الكريم وهذا ما جعل ابن البناء يطلق مصطلح التوضيح على هذا المفهوم ويصنّفه ضمن تفصيل شيء بشيء ويقول عن ذلك:"وإنما جعلته في التفصيل لأنّ الله سبحانه وتعالى وصف كتابه بأنّه"بيان للناس"(آل عمران138) وبأنّه "تبيان لكلّ شيء"(النحل89) و"تفصيل لكلّ شيء"(يوسف112) فقد اعتمد إذن على دلالة آي القرآن في وضع مصطلح التوضيح، وفصّل القول في هذه المسألة حيث ساق سبعة عشر آية قرآنية تصب دلالاتها في بيان القرآن وإيجازه ووضوحه[9].

5-2 الحديث الشريف: فقد ركّز عليه في و ضع المصطلح نظرا لبيانه وإيجازه لأنّه يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث البلاغة والبيان، ففي بيانه للتوضيح استشهد بقوله-صلى الله عليه وسلّم-"المرء كثير بأخيه" وقال:"فهذا نهاية الإيجاز والتبيان" كما ساق أقوالا لكل من أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وبيّن ما فيها من البيان الموجز.

5-3 الشعر العربي: وتتميّز مكانته عنده بالتدنّي لأنّ تقييمه له يخضع للتأثير الفقهي لديه ولذلك يقول عنه:"**هوالخطابُ بأقوالٍ كاذبةٍ مخيّلةٍ على سبيلِ المحاكاةِ، يحصلُ عنها استفزازٌ بالتوهّماتِ**"[10]، ويميّز ابن

البناء بين الشعر وهو عنده القول المخيّل وغير الشعر وهو القول غير المخيّل، فالشعر عند بالمفهوم الأوّل لا يمكن أن يحمل الحكمة بينما يمكن للنوع الثاني–غير الشعر– أن يحملها، وتفريقه بين الشعر وغير الشعر لا يتّصل بالقيمة الجمالية، فكلاهما يشمله البديع، وكلاهما تتمثّل فيه الأدبية لكنّ أحدهما "الشعر" لا يحمل إلاّ الجهل والباطل، أمّا الآخر "غير الشعر" وسواء أكان منظوما أو منثورا فهو قابل لأن يحمل الحقّ والحكمة.

ومن اللافت أنّ ابن البناء يستعمل في جانب كبير من كتبه عبارة "قال الناظم"، مع أن التعبير المتداول هو "قال الشاعر" وتفسير ذلك أنّ ابن البناء يستعمل كلمة "الناظم" عامدا مع تفرقته الحادّة بين المنظوم والشعر،لأنّ كلمة الناظم عنده تشمل كلّ من يقول المنظوم، سواء أكان المنظوم شعرا أو غير شعر.

6– تجاوز ابن البناء لمصطلحات غيره: كان العرب قديما يطلقون "البديع" على البلاغة كلّها وسادت هذه التسمية حقبة من الزمن ثمّ أصبحت البلاغة ذات علوم ثلاثة (المعاني،البيان، البديع) فكان البديع جزءا من علم البلاغة، ولكنّ ابن البناء يعود ليثير المشكل من جديد فيعود لاقتراح اسم البديع للدلالة على البلاغة كلّها حيث يقول:"فالصناعة المتكلّفة بذلك هي صناعة البديع...فصناعة البديع هي صناعة البيان، وعلم البيان فوقها، فإطلاق علم البيان على الصناعة غير سديد"، فقد تجاوز هنا علماء البلاغة في مصطلحي "صناعة البيان وعلم البيان" كما تجاوز مصطلح "حسن البيان" الذي كان عند الرماني بمصطلح التوضيح، وتجاوز مصطلح "الرجوع "الذي كان عند العسكري بمصطلح الاستدراك.

7–منهجه في تعريف المصطلحات: يتميّز ابن البناء بتعريف مصطلحاته اصطلاحيا وليس لغويا بإيراد ما أمكنه من شواهد توضيحية ولما كانت التعريفات كثيرة جاءت متنوّعة ومختلفة يضطر البحث إلى تسليط الضوء على بعضها:

8–التعريفات النوعية: وهي التعريفات التقليدية التي تقترح معنى نوعٍ ما بافتراض معرفة سابقة لجنسه، فتميّز هذا النوع عن غيره من أنواع ذلك الجنس بفصلٍ أو بخاصيةٍ أو بعرضٍ (التعريف بالمنطق الصوري)، وينقسم هذا النوع من التعريفات إلى التعريف بالحد والتعريف بالرسم والتعريف بالعرض ونمثل له بما جاء في الكتاب بمثالين.

8-1الحد التام: يقول ابن البناء:"**البلاغة هي أن يعبّر عن المعنى المطلوب عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمكنا من الغرض المقصود**"[11] ففي هذا التعريف جنس قريبٌ على حدّ تعبير المناطقة هو"التعبير"، ويدخل في التعبير كلام المجانين وهذيان النائم وفأفأة المتلعثم وغير ذلك وحتى يفصل بين الكلام البليغ وبين الأصناف الأخرى من التعبير جاء بالفصل الذي هو سهولة العبارة التي إلى التمكن من الغرض المقصود.

8-2 الرسم التام: يقول ابن البناء معرّفا الشعر:"هو الخطاب بأقوال مخيّلة على سبيل المحاكاة يحصل عنها استفزاز بالتوهمات"[12]، فقد جعل للشعر جنسا قريبا هو"القول"، فما ليس بقول ليس بشعر مطلقا وجعل له خاصية هي" التخييل"، وقد يقول قائل: إنّ التخييل موجود في غير الشعر والرد على ذلك:أن التخييل في الشعر متميّز عن غيره فيما ليس بشعر، إذ أنّه في الشعر مبني على الكذب والغلو، فيما لا يسمح في غيره على أن يبني عليه فهو إذن بهذا الشكل المتميّز خاصية في الشعر دون غيره، يقول ابن البناء:"**فكلُّ ما في التشبيهِ من كذبٍ وغلوٍّ فلا يكونُ في الحكمةِ ويكونُ في الشعرِ لأنّهُ مبنيٌّ على المحاكاةِ والتخييلِ لا على الحقائقِ**"[13].

8-3 التعريفات المشبّهة:وهي التعريفات التي تقترح معنى بواسطة استدعاء معنى لآخر يتشابه معه من جهة ما(التعريف بالمنطق الصوري) ونمثل له بمثالين:

الأول قول ابن البناء:"**ومتى كان الإبدالُ فيه في توابعِ الشيءِ ولواحقِهِ في الوجودِ فهو الكنايةُ**"[14]، فهو هنا ليعرّف الكناية ساق معنى آخر هو علاقة ذلك بالإبدال في توبع الشيء ولواحقه.

الثاني قول ابن البناء:"**ومن التفصيلِ ما يكونُ بالقوّةِ، وهو أن يكون اللفظُ يحتملُ معنيينِ فأكثر، إمّا من جهةِ الوضعِ أو من جهةِ احتمالِ اللفظِ للإفرادِ والتركيبِ أو لاحتمالِ تركيبينِ مختلفينِ ويسمّى ذلك كلّهُ الاتساعُ**"[15]، فهو هنا ليعرّف الاتساع ساق معاني أخرى تتشابه مع مفهومه فمثّل لجهة الوضع بقول كثيّر عزّة:

وكنتُ كذِي رجلَيْنِ رجلٌ صحيحةٌ ورجلٌ رمى بها الزمانُ فشلَّتِ

فهذا البيت يحتمل ثلاثة معان.

ومثّل للتركيب والإفراد بقول الشاعر:

ما هاجَ سعدٌ حينَ أدخلَ حلقَه يا صاحِ ريشَ حمامةِ بلقاءِ

فبلقاء يحتمل أن تكون صفة للحمامة ويحتمل أن تكون مكوّنة من حرف الإصراف "بل" وفعل القيء، ومثّل لما يحتمل تركيبين مختلفين بقوله تعالى:"ويكأنّه لا يفلح الكافرون"، وسيفصّل الأمر لاحقا في هذا.

4-8 التعريف بالمرادف: وهذا النوع من التعريفات يتضمّن التعريفات اللفظية أو اللغوية التي يعرف بها اللفظ إمّا بمرادف له أوضح منه أو بشرح معنى الكلمة باشتقاقها اللغوي(التعريف بالمنطق الصوري) ومن أمثلته:"وتقع المناسبة بين الأضداد يقصد بذلك المقاومة والمغالبة ويسمّى المكافأة"[16]، وقوله: "ومنه ما يقال له التتبيع ويقال له الإرداف ويدعى التجاوز أيضا"[17]، وهذا النوع من التعريفات قليل إذا ما قيس بغيره في الكتاب.

5-8 التعريف بالضد: وهو الإتيان بمقابل اللفظة سواء كانت لفظة أو مفهوما ومثاله قوله عن التكرير:"وكلّ ما يكون من التكرير في اللفظ من القسمين المذكورين على غير ذلك فهو ترديد"[18].

التعريف ببيان أقسام المعرّف: وله صور كثيرة في الكتاب منها قول ابن البناء عن المنظوم والمنثور:"**فالمنظومُ إذن يكونُ شعراً وغيرَ شعرٍ، كما أنّ الشعرَ يكونُ منظوماً وغيرَ منظومٍ**"[19].

التعريف بالمثال: وهو تعريف شيء بتقديم مثال عليه وهو كثير في الكتاب

9- منهجه في إيراد الشواهد: لابن البنّاء منهج مطّرد في إيراد الشواهد فهو يعرّف المصطلح غالبا ثمّ يردفه بشواهد من القرآن الكريم حينا ومن الحديث وكلام الصحابة حينا آخر ومن القرآن والكريم والشعر أحيانا أخرى؛ وإيراد الشواهد عن ابن البناء يخضع للتأثير الفقهي فهو يورد الشاهد القرآني أولا ثم من الحديث الشريف ثم من أقوال الصحابة ثم من الشعر والأمثال كل بحسب ما توفّر له.

10- منهج ابن البناء في تفسير القرآن الكريم: ترك ابن البناء آثارا مهمّة ذات الصلة الوثيقة بالقرآن الكريم[20]، منها:"تفسير الاسم من بسم الله الرحمن الرحيم"، "تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم"، "تفسير سورة العصر"، "تفسير سورة الكوثر"، رسائل في تفسير بعض الآي من القرآن الكريم، "عنوان الدليل إلى مرسوم الخط والتنزيل".

ويقول في مقدّمة رسالته:"تفسير الاسم من يسم الله الرحمن الرحيم" مبيّنا الفرق بين التفسير والتأويل:"إعلم أنّ النظر في القرآن من وجهين: الأول من حيث هو منقول وهي من جهة التفسير وطريقة الرواية والنقل، والثاني من حيث هو معقول وهي جهة التأويل وطريقة الدراية والعقل، قال الله تعالى:﴿إنّا جعلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون﴾(الزخرف3) ، وهذه النقطة التي انطلق منها ابن البناء المراكشي اختلفت فيها وجهات نظر العلماء فمنهم من قال أنّ التفسير والتأويل مترادفان ومنه دعاء النبي–صلّى الله عليه وسلّم– لابن عباس:"اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل"، وبهذا المعنى استعمل الطبري في تفسيره لفظة التأويل كقوله: تأويل قوله تعالى كذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك.

وفرّق كثير من العلماء بين التفسير والتأويل على غرار ما ذهب إليه ابن البناء، وهو ما ارتضاه جلّ المتاخّرين، وقد أورد أبو البقاء الكفوي في "الكليات" مثالا يجسّد هذا الفرق فقال:"وتفسير القرآن هو المنقول عن الصحابة وتأويله ما يستخرج منه بحسب القواعد العربية ولو قلنا في قوله تعالى:"**يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ**"[21]؛ إن أريد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا، أو إخراج المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل كان تأويلا، ثمّ يقول وتفسير القرآن بالرأي المستفاد من النظر والاستدلال والأصول جائز بالإجماع والمراد بالرأي في الحديث هو الرأي الذي لا برهان فيه، ولا يصح تفسير القرآن باصطلاح المتكلّمين وتفسير الحي بالباقي الذي لا سبيل للفناء فيه"[22].

وبَيَّنَ ابن البناء الأدوات التي تلزم المفسّر والمؤوّل فقال:"فلا بدّ من معرفة اللسان العربي في فهم القرآن العربي، فيعرف الطالب الكلمة وشرح لغتها وإعرابها ثمّ ينتقل إلى معرفة المعاني، ظاهرا وباطنا، فيوفّي لكلّ منها حقّه، ولا يخلّ بشيء من ذلك، وإلاّ كان مخطئا أو مقصّرا" ويقول بعد ذلك:"وقد وضع للمقصّرين في اللسان قوانين النحويين لما اعوجّت الألسنة، وللناقصي التعقّل علم المعقولات، وللنّاقصي الإبانة علم الأدب، وللناقصي الفهم في أحكام الشرع علم الأصول، والله سبحانه يفهم من عنده ما يشاء ويزيد في الخلق ما يشاء" ويتحدّث في "شرح مراسم الطريقة" عن خطورة التفسير وهيبته فيقول:"القرآن فيه معاني كتاب الله تعالى، وهو بيانه يهدي الألباب إلى الحقائق، كما قال تعالى:﴿ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحقّ وأحسن تفسيرا﴾[23]، وليس يلزم من البيان التبيّن، فلذلك كان السلف الصالح رضي الله عنهم يهابون تفسيره، لئلا يلزم في الفهم على تفسيره ما لا

يلزم من صريح ألفاظه المرشدة إلى الحق، فيقع تحريف في المعنى لأجل ذلك، وكانوا يطلبون فهمه على ما هو عليه ليحصل لهم العقل الشرعي، يتلقّنه بالعقل الروحي، فيقيم له المعقولات في أكمل رتب البيان والتحقيق، وثلج اليقين، ولا يتوقفون في التأويل لأنهم قد أمروا بالتدبّر فيه"[24] .

11– أمّا بخصوص **مذهبه في تعليل رسم المصحف** فقد خصّه بكتاب قيّم سمّاه:" عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل"، وهو عمل فريد في بابه سلك فيه مؤلّفه طريقة جديدة مخالفة لما اتبعه العلماء قبله في تعليل رسم المصحف، وساعده في ذلك ما كان يمتلكه من سعة العلم، وقوّة الإدراك. ويقف ابن البناء موقف المدافع عن توقيفه رسم المصحف بصورة منطقية دقيقة دون أن تغيب عنه تلك الطرق التي اتبعت قبله في تعليل رسم المصحف.

يقول ابن البناء "**لمّا كان خطّ المصحفِ الذي هو الإمامُ الذي يعتمدُه القارئُ في الوقفِ والتمامِ ولا يعدو رسومَه ولا يتجاوزُ مرسومَه، قد خالفَ خطَّ الأنامِ في كثيرٍ من الحروفِ الأعلامِ ولم يكن من ذلك منهم كيف اتُّفِقَ بل على أمرٍ عندهم قد تحقّقَ، بحثتُ عن وجوهِ ذلك منهم بمقتضَى الميزانِ وأوفَى الرجحانِ ووقفتُ منه على عجائبَ ورأيتُ منه غرائبَ، جمعتُ منها في هذا الجزءِ ما تيسّرَ عبرةً لمن يتذكّر**"[25]. ومن ثمّ فإنّ المرسوم اختلفت حالها في الخط بسبب اختلاف أحوال معاني كلماتها الشيء الذي بيّنه ابن البناء لكن بأسلوبه المعهود ممّا يحتاج إلى مزيد من الشرح والتبسيط.

ومن نماذج تعليل ابن البناء لرسم المصحف قوله في باب الواو: فصل في الواو الناقصة عن الخط: "وكذلك سقطت في أربعة أفعال دلالة على سرعة وقوع الفعل ويسارته، وشدّة قبول المنفصل لتأثّر به في الوجود مثل﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾(العلق 18) ، في سرعة الفعل وسرعة إجابة الزبانية، وقوّة البطش وهو وعيد عظيم ذكر مبدأه وحذف آخره، ويدلّ على هذا قوله تعالى:"﴿وما أمرُنَا إلاّ واحدةٌ كلمحِ البصرِ﴾(القمر 50) ، وكذلك ﴿ويمحُ اللهُ الباطلَ﴾(الشورى 24) ، حذف الواو علامة على سرعة المحو وقبول الباطل له بسرعة، يدل هذا على قوله تعالى:﴿إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً﴾(الإسراء 81) ، وليس (يمح) معطوفا على و(يختم) في "فإن يشاء الله يختم على قلبك" الذي قبله لأنّه ظهر مع يمح اسم الفاعل وعطف على الفعل ما بعده "يحق الحق"، وكذلك ﴿ويدعُ

الإنسانُ بالشرِّ دعاءَهُ بالخيرِ﴾(الإسراء 11) ، حذف الواو يدلّ على أنّه يسهل عليه، ويسارع فيه كما يعمل في الخير وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير، وكذلك "اليوم يدع" حذف الواو لسعة الدعاء وسرعة الإجابة، ويعقّب ابن البناء على هذه الأمثلة فيقول:وهذه الأفعال لأربعة مبادٍ لمعانٍ وراءَها لم تُذكَرْ فحذفُ الواو يدلُّ على كلِّ ذلك".

ويقول في باب الياء: فصل في الياء الزائدة:"وذلك علامة اختصاص ملكوتي مثل﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(الذاريات 47)، كتبت بياءين فرقا بين الأيدي التي للقوّة وبين أيدي جمع يد، ولاشكّ أنّ القوّة التي بنى بها السماء، التي هي بالثبوت في الوجود من الأيدي فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود"، والوجود عن ابن البناء على قسمين:-

ما يدرك وهو ظاهر ويسمّى الملك، وباطن ويسمّى الملكوت.

-ما لا يدرك: وهو ما ليس من شأنه أن يدرك وهو معاني أسماء الله تعالى وصفة أفعاله فإنّه انفرد سبحانه وتعالى بعلم ذلك وهذا يسمّى العزّة، وما من شأنه أن يدرك لكن لم نصله بإدراك يسمّى الجبروت.

ويقول في باب التاءات وقبضها: وهذا جاء في الاسم المفرد المضاف الذي فيه علامة التأنيث وذلك أن الأسماء لما كانت يلازمها للفعل صارت تعتبر اعتبارين: احدهما من حيث هي أسماء وصفات، فهذا تقبض فيه التاء.

والثاني من حيث يكون مقتضاها فعلا ظاهرا في الوجود فهذا تمدّ فيه التاء كما تمدّ في "قالت" و"حقّت" وجهة الفعل والأثر ملكية ظاهرة وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة.

ومن أمثلة ذلك:﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(القصص9) ، فرْدٌ مُدَّت تاؤه لأنّه بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى، وهو موجود حاضر في الملك، وذلك على غير حال "قرّة أعين" فإنّ هذا الحرف هو بمعنى الاسم وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر.

ومن ذلك:﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(السجدة 17) ، مدّت التاء تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة ولم يضف

في القرآن ولد إلى والد ووصف به اسم للولد إلاّ عيسى وأمّه عليهما السلام لما اعتقد النصارى فيهما إلاهان. وفي آخر الكتاب يتحدّث ابن البناء عن حروف متقاربة اقتطف منها هذه الأمثلة، وهذه الحروف تختلف في اللفظ لاختلاف حال المعنى، وذلك مثل: ﴿وزاده بسطةً في العلمِ والجسمِ﴾(البقرة 247) وقوله تعالى:﴿وزادَهُ في الخَلقِ بصْطَة﴾(الأعراف 69)، وقوله تعالى: ﴿والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾(الرعد 26) وقوله تعالى: ﴿والله يقبض ويبصط﴾(البقرة245) ، يقول ابن البناء: فبالسين السعة الجزئية يدلّك عليه التقييد" يعني العلم والجسم في الآية الأولى، "و لمن يشاء" في الثالثة.

وبالصّاد السعة الكلّية ويدلّ عليه معنى الإطلاق وعلوّ الصاد مع الجهارة والإطباق"، وكذلك نحن قسّمنا بينهم معيشتهم" و"وكم قصمنا"، بالسين تفريق الأرزاق والأنعام وبالصاد تفريق بالإهلاك والإعدام.

وكذلك ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة﴾(القيامة 22-23) بالضاد منعّمة بما تشتهيه الأنفس، وبالظاء منعّمة بما تلذّ به الأعين.

خلاصة:

اتجه ابن البناء المراكشي في دراسة المصطلح وجهة متمايزة من خلال كتابه "الروض المريع في صنعة البديع" بإدراجه صور البديع الجزئية وألقابه تحت كلّيات عامّة، وهو بذلك لم يتقيّد بالمدلولات الجارية عند البلاغيين المتقدّمين، بل جعلها مندمجة في أصول ذات خصائص أسلوبية مشتركة ومقاصد متقاربة، وربط بعضها باستعمالاتها المتداولة وأضفى على الآخر مدلولات جديدة

وقد جاءت دراسته متّجهة نحو الدقة العلمية ومنهج الإثبات والاستدلال والتقسيم والتفريع وسيرا على هذا المنهج يتحدّث عن نوعين من النقد :- نقد يتناول العقل والفكر ومكوّناتهما ومناهجهما ، وتوجد نظريات هذا النوع من النقد في كتبه في التصوّف والتفسير، التي يتناول فيها مباحث منطقية تتّصل بالصور الذهنية

وبَيَّنَ ابن البناء الأدوات التي تلزم المفسّر والمؤوّل فقال:"فلا بدّ من معرفة اللسان العربي في فهم القرآن العربي، فيعرف الطالب الكلمة وشرح لغتها وإعرابها ثمّ ينتقل إلى معرفة المعاني، ظاهرا وباطنا، فيوفّي لكلّ منها حقّه، ولا يخلّ بشيء من ذلك، وإلاّ كان مخطئا أو مقصّر

كما وقف ابن البناء على أسرار رسم المصحف باعتبارها الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام كما وقف منه على عجائب وغرائب جمعها في كتابه "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل " وهو عمل فريد في بابه سلك فيه مؤلّفه طريقة جديدة مخالفة لما اتبعه العلماء قبله في تعليل رسم المصحف، وساعده في ذلك ما كان يمتلكه من سعة العلم، وقوّة الإدراك. ويقف ابن البناء موقف المدافع عن توقيفه رسم المصحف بصورة منطقية دقيقة دون أن تغيب عنه تلك الطرق التي اتبعت قبله في تعليل رسم المصحف.

هوامش البحث:

[1] جذوة الاقتباس، لابن عباس ،ج1، ص:152.

[2] مؤلفات ابن البناء وطريقته في الكتابة، رضوان بن شقرون، مجلّة المناهل المغربية،العدد33، جانفي 1985.

[3] مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة، ابن البناء المراكشي، تح. شوقي علي عمر، دط ، 1996، ص:53.

[4] ينظر :شرح مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقة ،لابن البناء المراكشي الورقة 41

[5]البحث المصطلحي ، رضوان بن شقرون، مجلّة دعوة الحق ن العدد 342 السنة 1999

[6]-ينظر البحث المصطلي ، رضوان بن شقرون ، مجلّة دعوة الحق، العدد 342 السنة 1999

[7] الروض المريع ، لابن البناء، ص:173.

[8] الروض المريع في صنعة البديع، ابن البناء، ص:134.

[9] ينظر: منهج دراسة المصطلح النقدي في كتاب الروض المريع، الموقع الإلكتروني، منتديات دفاتر.

[10] الروض المريع في صنعة البديع، ابن البناء المراكشي، تح.رضوان بن شقرون،1985، ص:81.

[11] الروض المريع، ابن البناء، ص:87.

[12] المصدر نفسه، ص:81.

[13] المصدر نفسه، ص:103.

[14] الروض المريع، ابن البناء، ص:116.

[15] المصدر نفسه، ص:131.

[16] الروض المريع، ابن البناء ، ص:109.

[17] المصدر نفسه ، ص:117.

[18] المصدر نفسه، ص:162.

[19] المصدر نفسه، ص:82.

[20] ينظر: نظرات في تفسير ابن البناء للقرآن الكريم ، محمد عز الدين المعيار الإدريسي، مجلّة دعوة الحق، العدد338، أكتوبر:1998 ص:129.

[21] الأنعام، 95.

[22] الكليات، أبو البقاء أيوب الحسيني الكوفي ، تح.عدنان درويش، محمد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت لبنان، ط.1، 1992، ص:262.

[23] الفرقان، 33.

[24] شرح رسالة" مراسم الطريقة" لابن البناء نقلا عن "تفسير ابن البناء المراكشي"، لعز الدين المعيار الإدريسي، مجلّة دعوة الحق المغربية العدد:338 السنة:1998.

[25] عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المركشي، تح. هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، ص:30.